أوشكت الباخرة أن تسير ، سمعته يحيل على ولده يقول : « إنزل يا محمود وروّح مع إخوتك من الشمس

وبعد قليل نزل ولده ونزلت . وقد أحسست فى ذلك الوقت أنه ما كان مشفقاً على ولده من حرقة الشمس وحدها ؛ بل كان مشفقاً عليهم وعلى نفسه حرقة تلك اللحظة القاسية ـ لحظة الوداع ـ فقد كان عبد القادر حمزة حين تحركت محمد على الكبير منحرفة إلى البحر وقد أخرج الركب أيديهم ومناديلهم يشيرون بها إلى مودعيهم وأحبائهم . كان عبد القادر حمزة أسرعهم جميعاً إلى التوارى وأقلهم إشارة وحركة

لقد كان يشفق على نفسه أن يطيل ساعة الوداع ، وقد كان قبل ذلك بقليل يسلّم على ولده ويده ترتعش ولا يكاد يبين من لفظه صوت

أما ذلك اليوم الذى ماتت فيه ابنته سماد ؛ وأما تلك الساعة التى ذهبنا معه فيها نواريها التراب ، حين نزل معها إلى جوة القبر وانحاز إلى ركن منه مظلم رطيب ، وأما حين هو يبكى كطفل ورأسه بين يديه لا يريد أن يترك ابنته ، على رغم أنه يغالب حزنه العظيم ونحن معه فلا يستطيع . أما ذلك اليوم وهذه الساعة من حزن عبد القادر حمزة وعصيانه أن يصعد من قبر فتاته وقد وسدت فى التراب .

أما هـذا وذاك فشىء لا أنساه ولا أستطيع أن أكتب فيه

* * *

وفى شتاء سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ — إنسللت من تحرير البلاغ مخاصماً وفارقت أستاذى عبد القادر لأسباب ليست من العمل ولا من المال ، ولكنها أجلّ عندى من العمل ومن المال . وقد ظلت وسأظل أذكر عبد القادر حمزة فقد أحببته على الغيب والشهادة

رحمه الله وأجزل عزاءنا فيه وصبر جميل

محمود الشرقاوى

الفقيـــد العزيز

للأستـــاذ على شوقى

خلعتُ رداء الشباب الجديدْ … وألبستُ تاجَ المشيب النضيدْ
وأصبحتُ نضواً مهيض الجناح … وقد كنت آوى لركن شديد
وما شاب رأسى ولـكنه … نحَى عنه ظلَّ الشباب المديد
فقل لعذولى مضت وانقضت … ليالى التصابى وتلك العهود
وأنى فقدت الشباب العزيز … ألا رحم الله ذاك الفقيـــد
وعدتُ من الحب خلو الفؤاد … وما كنت أحسب أنى أعود
وحطّمت كأسي وأنسيت أنسى … فلا اللهو لهو ولا الغيد غيد
وقطّعتُ باليأس حبل الرجاء … وألقيت عنىَ تلك القيود
فما يستبينىَ سحرُ العيون … ولا يطّبينىَ وردُ الخــدود
وقلت لجفني هَناك المنامُ … فيا طالما كنت تشكو الهجود
وقلت لقلبى اغتبط بالسلوّ … فهذا الذى كنت منه تحيد
وجنّبت نفسى خداع المنى … وتغرير شيطانهن المَريد
وكنتُ امرأً مولعاً بالجمال … إذا ما انقضت صبوة أستعيد
على أننى كنتُ ذاك الوفىّ … الشريفَ الأبىّ الأليفَ الودود
ولم آت بائقـــةً فى الغرام … تسلُّ علىَّ لسان الحسود
وذلك أنى صحبت الليالى … فأوحين لى سر هذا الوجود
وعلمنـــنىَ كل ما ينبغى … لمن يبتغى طول عيش رغيد
كما أننى قد خبرت الأنام … ومارست إيعادهم والوعود
فما راقنى الوعد من صاحب … ولا راعنى من عدوّ وعيد
وبتُّ من الناس فى راحة … ســواء قريبهمُ والبعيــــد
أعيشُ كما عاش ليثُ الشّرى … وحيداً وهل ذلّ ليثٌ وحيد
يروح ويغـدو على قُوته … ويكفيه من قوته ما يصيد
أسيرَ الحياة طريدَ المات … ألا فاعجبوا للأسير الطريد
وما لامرئ لذة فى حياة … إذا آذنت ناره بالخمـــود
فلا يستخفن عبء الحياة … فعبء الحياة ثقيل يؤود
وإن يك قد زيد فى عمره … فآية نقصانه أن يزيد
ولولا تكاليف هذى الحياة … لما سئم العيشَ فيها لَبيد

على شوقى